تجليّات التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس من خلال رحلات علماء توات
بوتدارة سالم، المجلد الحـادي عشـر، العدد 2، سبتمبر 2020،
ص ص 208-219

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

تجليّات التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس من خلال رحلات علماء توات في القرنين17-18م

The Noticeable Cultural Communication between Algeria and Tunisia Through the Journeys of the Scholars of Touat During 17/18 C

د.سالم بوتدارة (*)
جامعة أدرار ، الجزائر
salem2900@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/03/28 تاريخ القبول: 2020/09/25 تاريخ النشر: 2020/09/30

الملخص:

شهدت منطقة توات بالجنوب الجزائري في العصر الحديث حركة علمية نشيطة، مكّنتها من نسج علاقات علمية مع الحواضر والبلدان المجاورة، ساهمت في تفعيلها عوامل موازية، على غرار الرحلات العلمية، وقد تبلورت تلك الحركية بجلاء، وتجسدت في الرحلات التي قام بها التواتيون نحو حاضرة تونس التي شكلت منذ قرون محط أنظار العديد من علماء وطلبة العلم التواتيين، الذين نزلوا بتونس واستوطنوها، بل فيهم من عقّب هناك بنين وحفدة، أصبحوا يعرفون لاحقا بلقب التواتي كالشيخ محمد التواتي (ت1622م) والشيخ احميدة التواتي (ت 1774م) وغيرهم من الشخصيات العلمية التواتية التي رحلت إلى تونس وأثْرَت الحياة الثقافية هناك، وتركت بصَماتها على الحركة الفكرية والعلمية في تلك الحاضرة وأخواتها، ورعَتْ عهد الصلةِ والتواصل بين تونس وتوات.

الكلمات الدالة:

تونس، توات، الرحلات، العلم والعلماء، مخطوطات.

Abstract:

During the modern era, the region of Touat in the Algerian South witnessed an active cultural movement which gave it the opportunity to develop relationships with the neighboring cities and countries in the field of science. Travelling was one of the factors that helped Touat to develop these relationships. The people of Touat were mainly interested in the city of Tunisia which was an open door for scientists and

(*) المؤلف المرسل: بوتدارة سالم : salem2900@gmail.com

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

students for centuries. Those scholars lived in Tunisia for a long period of time, and the coming generations were named after their ancestors such as, Eshaikh Mohamad Etouati (d 1622), Eshaikh Ahmida Etouati (d 1774), and many other figures. To a great extent, the people of Touat enriched the cultural life in Tunisia and left their noticeable trace in it and in many other cities.

Keywords: Tunisia, Touat, Travelling, Science and Scientists, Scripts.

****

تعتبر الرحلات العلمية والحجية إحدى أهم روافد العلم للحواضر الصحراوية، فقد ألِف أهل الصحراء التّرحال، وتعودوا على مشاق الرحلة، فلم تثن معيقات الطبيعة عزائم طلبة العلم، ولم تُضعِف المسافات الطويلة همة العلماء في التنقل، فأثْروا بذلك مناطقهم النائية، وجعلوا من بعضها حواضر علمية معروفة، لها صلاتها الثقافية مع حواضر ومدن المغرب الإسلامي في الشمال، والمراكز الحضارية الواقعة جنوب الصحراء المسماة بلاد السودان الغربي.

وتعتبر منطقة توات الواقعة بالجنوب الغربي الجزائري، نموذجا لتلك الحواضر الصحراوية التي جسدت ذلك التواصل الثقافي، فهي رغم وقوعها في أقاصي الصحراء، وتعدد المعيقات الطبيعية التي تعرقل مسيرة قاصديها، فإن ذلك لم يحل دون تفاعلها مع محيطها الخارجي، فانبعث اسمها بين المناطق والأقاليم الشمالية والجنوبية، وتبوّأت بذلك مكانة بين الحواضر السائدة في الفترة الحديثة، وربطت علاقات ثقافية شاملة تأثيرا وتأثرا، شكلت على مر العقود شبكة واسعة من التقارب والتواصل العلمي.

ومن المحطات العلمية التي قصدها التواتيون حاضرة تونس الواقعة في قلب الشمال الإفريقي، التي تعتبر واحدة من أهم محطات العبور في الفضاء المغاربي في اتجاه الحجاز، وسواء اتخذ الرحالة الطريق البري أو البحري، فإنها تبقى نقطة عبور إلزامية، وعليه فإن جلّ كتب الرحلات تحدثت عنها وعن علمائها، وقد سجل الرحالة ترجمة لزملائهم ولشيوخهم وللعلماء الذين التقوا بهم فيها، وانعكس هذا في إنتاج حصيلة ثقافية هامة تمثلت في الإجازات المتبادلة وعقد المجالس والمناظرات العلمية وحلقات التدريس، وكلها مجالات للعطاء العلمي، قدمت فكرة واضحة عن النشاط العلمي الجزائري التونسي.

وسترصد هذه الدراسة – عن طريق المنهج التاريخي وأدواته- إجابة مقتضبة عن إشكالية محورية تتعلق أساسا بدوافع وظروف الرحلات التواتية إلى تونس خلال القرنين 17 و18

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الميلاديين، و التعرف على أشهر العلماء الذين رحلوا إلى هناك، ومدى مساهمتهم في إثراء المشهد الثقافي بتونس.

1. العوامل المشجعة على الرحلات التواتية إلى تونس

إن الحديث عن الرحلات العلمية التي ربطت حاضرة توات بتونس، ورصْد ظاهرتي التأثير والتأثر التي جسدها أولئك العلماء التواتيون الذين طاب لهم المقام بتونس، في مجمله يجرّنا إلى استظهار العوامل المختلفة التي شجعت تلك الرحلات ونشاطاتها، ولعل أهمها:

1.1- الموقع الاستراتيجي: حيث تمر المسالك الشرقية وهي التي تربط توات[1] بتونس وطرابلس الغرب، مرورا بوادي ميزاب أو بفزان وغدامس، وكما هي تونس همزة وصل بين الشرق والغرب، فتوات تعتبر همزة وصل ما بين الشمال والجنوب، حيث تمر بها الكثير من طرق القوافل التجارية وركب الحجيج والمسافرين، ولم تكن هذه القوافل بمنأى عن الاحتكاك العلمي، وخلق ظاهرتي التأثير والتأثر[2]، مما ولّد علاقات علمية زادت من عدد الرحلات التواتية نحو تونس.

2.1- الزوايا والمؤسسات التعليمية: إن تعدّد وظائف الزوايا بين تعليم وإطعام وإيواء، جعل طلبة العلم وعابري السبيل يقصدونها من كل جهة فساهم ذلك في تعرفهم على كثير من الحواضر المتواجدة بها تلك الزوايا، فكانوا بمثابة همزة الوصل بين مناطقهم المختلفة، هذا إضافة إلى الدور التي مارسته الزوايا الصوفية بطرقها المختلفة.

أما عن المؤسسات التعليمية فإن طبيعة المدارس القرآنية والمساجد التي تتشابه مهامهما في كلتا الحاضرتين، ساهمت في تشكيل إطار فكري واحد بينهما، خاصة وأن تلك المؤسسات غير مقتصرة على الشيوخ وطلبتهم بل مفتوحة على عامة الناس.[3]

3.1- الوحدة اللغوية والمذهبية: حيث اتخذ سكان الحاضرتين اللغة العربية لغة تعلمهم وتواصلهم، سيّما أن جلّ المقررات التعليمية تتعلق بالعلوم الشرعية، حيث أن الوحدة الدينية كذلك مشجعة على الترحال من أجل التّفقه في الدين[4]، يضاف إليها وحدة المذهب أيضا؛ فعموم المذهب الملكي في بلاد المغرب الإسلامي بما فيها تونس وتوات، ساعد على تبادل الآراء في القضايا والنوازل الفقهية بين أهل توات وتونس، ومثال ذلك نازلة يهود توات[5] التي وصل صداها إلى تونس والجزائر العاصمة وتلمسان وفاس، إضافة إلى أن الوحدة الدينية والمذهبية سهّلت على بعض أعلام توات في رحلاتهم تبوأ مقاعد للتدريس والإفتاء، كلها أسباب مهدت لهم توطيد الصلة بالبلاد التونسية[6].

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

4.1- تقارب مناهج التعليم والثقافة: فإلى جانب الوحدة المذهبية نجد طرق التدريس ومناهج التلقي بين توات وحاضرة تونس متشابهة ومتكاملة، مما يسهل على الوافدين الاستيعاب في الحلقات العلمية، والفائدة نفسها بالنسبة للطلبة التواتيين عند تنقلهم إلى تونس، والأمر هذا شجع كذلك العلماء والشيوخ على عقد مجالس علمية لهم بالبلاد التونسية، وقد أشاد ابن خلدون بنجاعة تلك المناهج[7].

5.1- طلب الإجازات العلمية: الإجازة في اللغة هي الإذن[8]، وهي مصطلح علمي ابتكره علماء الإسلام في بداية عصور الرواية، كان يهدف إلى توثيق العلوم المتمثلة في ذلك الوقت بالقرآن الكريم ومرويات السنة المطهرة، ثم تطورت لتشمل الكثير من العلوم.

يحصل الباحث من خلال الإجازة على حق الرواية، أي الإذن في الرواية وبذلك يمكنه المشاركة في الساحة العلمية، وتكون الإجازة بإذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته ولو لم يسمعها منه، ولو لم يقرأها عليه، وذلك بقوله أجزت لك أن تروي عني كتابي هذا أو كتاب فلان الذي حدثني به، أو ما صحّ عندك من مسموعاتي.[9]

وعندما يجيز الشيخ الطالب في علم أو مجموعة من العلوم أخذها عنه، يذكر سنده في ذلك العلوم، مبينا الشيوخ الذين أخذ عنهم، متسلسلين إلى مصدرها الأول، فقد كان ذكر السند من علامات الثقة، لذا أصبح العديد من طلبة العلم التواتيون يشدون الرحال إلى تونس لأجل الحصول على إجازة من عالم مشهود له.

6.1- انتشار الطرق الصوفية: عرفت الطرق الصوفية انتشارا واسعا في بلاد المغرب منذ القرن الخامس الهجري نتيجة الإتصال بالمشرق عن طريق الحج والرحلات، والتتلمذ على أعلام التصوف، وانتشار المؤلفات الصوفية كالرسالة القشيرية، وإحياء علوم الدين للغزالي، فظهرت ببلاد المغرب عدة طرق صوفية، قامت بأدوار متنوعة من خلال نشاط شيوخها وزواياها المتواجدة في مختلف المناطق، حيث ساهمت بدور فاعل في التواصل بين مختلف الحواضر العلمية، وكانت دافعا إلى شد الرحال من أجل ملاقاة شيوخ الطريقة وأخذ الأوراد عنهم.

كما ساهمت تلك الطرق في تشجيع رحلات علماء توات إلى بلاد الجريد[10] عن طريق نشاط شيوخها، الذين ساهموا في نشر التصوف والعلوم الدينية، حيث صارت قبلة للطلبة والأتباع من الجهات الثلاث، فأصبحت لزوايا الجنوب الشرقي الجزائري صلة بزاوية نفطة والكاف القادريتين، وشكلت زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز في نفطة ملتقى إخوان الطريقة الرحمانية، وملجأ للهاربين من بطش الإستعمار – فيما بعد- ومعقلا للمقاومة.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

ومن هنا اكتسبت الظاهرة الصوفية في شكلها الطرقي، أهميتها وخصوصيتها المتميزة عن طريق الإنتشار خارج الحدود الجغرافية، وبرز التصوف المغاربي كعامل موحد بين الشعوب والأقطار المغاربية، وساهمت فيه الثقافة المشتركة التي سمحت بالتواصل وتعزيز الروابط ووحدة الإنتماء، وخلق صلات روحية بين سكان حاضرة تونس والحواضر الجزائرية بما فيها حاضرة توات.

7.1- تقارب العادات والتقاليد: وذلك عن طريق التداخل العائلي والتواصل الاجتماعي، وهكذا نلاحظ تشابها كبيرا بين أهل توات من جهة وأهل تونس من جهة أخرى خاصة فيما يتعلق بأساليب الحياة الاقتصادية والحرَف والصناعات وغيرها من أساليب إقامة الأفراح والمناسبات، مما يشجع الطلبة والعلماء على التنقل أو الاستقرار مساهمين بذلك في تفعيل حركية المعاملات والعلاقات المختلفة بما فيها العلمية والفكرية.[11]

2. أبرز الرحلات العلمية التواتية إلى تونس

تعتبر الرحلات العلمية التواتية نحو تونس أحد أهم روافد الحياة الثقافية، فقد برز العديد من العلماء الذين جسدوا مظهر التواصل العلمي وذلك من خلال أسفارهم وتنقلاتهم، ولرصد تلك التنقلات والرحلات سنركز على العنصر الفاعل فيها وهم المشائخ والعلماء الذين صنعوها وجسدوها على أرض الواقع، إضافة إلى إبراز القضايا والمسائل التي ساهمت بدورها في خلق جو التواصل الثقافي.

فقد شكلت حاضرة تونس منذ قرون محط أنظار العديد من التواتيين، الذين نزلوا بها واستوطنوها، بل فيهم من عقب هناك بنين وحفدة، أصبحوا يعرفون لاحقا بلقب التواتي، تمييزا لهم عن بقية الجاليات الساكنة بالأقاليم التونسية، ورغبة منهم - فيما يبدو- في حفظ الأصول والخصوصيات، فنتج عن ذالك التواجد احتكاك ثقافي، رصدته كتب الرحلات والنوازل من خلال السفر والتوجه إلى تلك المدينة[12]، أو من خلال الإستشهاد بما ذهب إليه الأشياخ المحققون من تونس.

غير أن العلاقات الثقافية بين الحاضرتين كانت قد تأصلت منذ القرن التاسع للهجرة، حين استفتي المفتي التونسي محمد الرّصاع حول قضية يهود توات – السالفة الذكر-، وكان من الذين أوصوا في مراسلاته لعلماء توات بالتسامح والاعتدال تجاههم[13]. كما ساهمت قوافل الحجيج التي كان يفِد بعضها على تونس، عبر الطريق المحاذية لحافة الأطلس الصحراوي وجبال الأوراس[14] في توطيد العلاقات.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

أما الشخصيات العلمية التواتية التي أثْرَت الحياة الثقافية في تونس، وتركت بصماتها على الحركة الفكرية العلمية في تلك الحاضرة وأخواتها، ورعَتْ عهد الصلةِ والتواصل بينها وبين توات، فقد نشطت بشكل جلي خلال القرن 12ه مقارنة مع القرون السابقة، ومن أشهرها كلٌ من:

- **الشيخ محمد التواتي (ت 1031ه/1622م)**[15]: ارتحل من المغرب الأقصى إلى مدينة قسنطينة، فاشتهر بها وانتشر علمه وأقبلت إليه الطلبة وانتفعوا به، ومنهم تلميذه الشيخ عبد الكريم الفكون، نبغ في الأصول وعلم القراءات والمنطق والبيان والنحو بالأخص، وكان يبيت مكبا على القراءة، لا يرى إلا مطالعاً أو ناسخاً، ثم بدا له بعد ذالك الإنتقال إلى تونس، حيث شاع خبره ووقع له القبول عند عامتها وأهل باديتها، فدرّس بمدرسة الباي أبي الحسن علي باشا، وبمدينة باجة التونسية، إلى أن توفي بالطاعون.

خلّف هذا العالم التواتي الرحّالة الذي جسد معاني التواصل الثقافي بين توات وتونس تآليف قيّمة، اعتُمد بعضها في برنامج التدريس بجامع لزيتونة، لكن معظمها لايزال مخطوطا في رفوف المكتبات التونسية والأوروبية ومنها: "غنية الراغب ومنية الطالب" و "شرح الشواهد الشعرية لمن أراد التفرس في العرُبية "، و "الخبر في معرفة عجائب البشر" وغيرها.

- **الشيخ الكوش التواتي التونسي (ت ق 12ه)**[16]: رحل إلى تونس نزولا عند رغبة شيخه مولاي التهامي البلمحي الحسني الذي أرسله إليها بطلب من أهلها، فبنى زاويته بخارج باب مدينة تونس، ومنها انتشر صيته وعلا قدره، واجتمع عليه التونسيون، وعاش حياته بين ظهرانيهم مرغوبا مطلوبا، ظهرت له كرامات وخوارق للعادات، وعين المقدّمين والأتباع في الأقطار التونسية، فلزموا صحبته حتى وافته المنية ودفن في زاويته المذكورة.

- **الشيخ البكري بن عبد الكريم (ت 1133ه/ 1720م)**:

هو القاضي الشيخ البكري بن عبد الكريم بن أمحمد بن أبي محمد التواتي، ولد في 12 رمضان 1042ه/ 1632م بعد وفاة والده بأربعين يوما، فكفله أخوه القاضي أمحمد بن عبد الكريم الذي أخذ عنه عددا من المقدمات في الفقه والنحو وغيره.[17]

وبعدها تتلمذ على يد الشيخ محمد بن علي الوقروتي فأخذ عنه النحو، ثم انتقل إلى الحواضر العلمية الكبرى فزار مراكش وفاس والجزائر العاصمة، حيث تتلمذ على يد عالمها الشيخ سعيد قدورة الجزائري، وظل عنده إلى حين وفاة الشيخ سعيد سنة 1076ه/ 1665م، فقفل راجعا إلى توات، وبعد مدة قصد الحج فمر بتونس فأسس بها زاوية، فكانت رحلته هذه

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

رحلة علم حيث أجاز واستجاز بالمدن التي مر بها كتونس وطرابلس الغرب ومصر والشام والعراق والحرمين[18].

أسس بالزاب "الزاوية البكرية" في طريق عودته من الحج، واستقر بتقرت واشتغل بالتدريس هناك لمدة ثلاثين سنة كان فيها "كثير الاجتهاد له اليد الطولى في كل فن من فنون العلم، فصيح اللسان، رحب الجنان، طويل الباع في النوازل، مداول الاطلاع في الفروع والمسائل"[19].

رجع إلى تمنطيط بعد موت أخيه القاضي محمد بن عبد الكريم وإلحاح أهله وأصدقائه عليه بالرجوع، وتولى القضاء سنة 1092هـ/ 1681م، فسلك بالناس مسلك العدل والإنصاف[20] وشهد له بذلك العام والخاص.

أنشد فيه الشيخ البكري بن عبد الرحمان التنيلاني قصيدة مما جاء فيها قوله:

فإذا نظمت من الكرام قلادة *** ومنحتها الأجياد من الأحرار
فالسيد البكري اجعلن وسيطها *** فيه يتم العقد في الأخيار
ينبيك عنه ما تواتر أنه ***كالشمس كاف تضيء في الأقطار[21]

وقال فيه معاصره الشيخ محمد ايداوعلي قصيدة طويلة أشاد فيها بفضائله جاء في مطلعها:

زر من هويت ولا تصبو لمن عدلا *** على هواه وسق لربعه الابلا
وحط للسيد البكري ركاب منى *** تجد من العلم عند بابه الأملا
واذكر كريما قصاه للعلى خلق *** عذب وفاز بسؤل من به نزلا.[22]

وقد كان لهذه المكانة صدى عند طلبة العلم فقصدوه من كل النواحي وتخرجوا على يده منهم الشيخ ناجي دفين تمنطيط والشيخ محمد اداوعلي الشنقيطي وأبناؤه الأربعة محمد الصالح وعبد القادر ومحمد وعبد الكريم، وعنه كذلك ابن أخيه عبد الله بن محمد بن عبد الكريم وغيرهم، توفي يوم الأحد 02 ذي القعدة سنة 1133هـ/ 1720م.

- **الشيخ محمد العربي بن محمد التواتي (ت بعد1149هـ /1736م)**[23]: انتصب للتدريس بالجامع الكبير في تونس، فأفاد وأجاد، وتخرج على يديه خلق كثير، كما تولى منصب القضاء، فكانت سمته العفة والصلاح والزهد .

ومن الشيوخ التواتيين الآخرين الذين أشعوا بمعارفهم وعطاءاتهم الفكرية البلاد التونسية كلٌّ من[24]: أبو عبد الله محمد التواتي الذي كان قاضيا بباجة (1107هـ /1696م)، محمد

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الصغير محمد العربي التواتي (ت بعد1180هـ /1766م)، الشيخ أحميده التواتي (ت بعد1188هـ /1774م)، الشيخ محمد السنوسي التواتي (ت بعد 1194هـ /1780م)، بالإضافة إلى الشيخ القاضي البكري بن عبد الكريم الذي رحل إلى تونس في طريقه إلى الحج، وأسَّس بها زاوية عُرفت باسمه، لكنه لم يلبث فيها طويلا حيث رحل عنها إلى ليبيا ثم مصر ومنها نحو البقاع المقدسة.[25]

ويمكن القول أن هؤلاء العلماء التواتيون[26] رغم طول مدة إقامة بعضهم بتونس إلا أن ما يلحظه الدّارس لسيرهم هو ندرة تراجمهم وتفاصيل رحلاتهم وإقامتهم هناك، في المخطوطات بالخزائن التواتية، ويمكن إيعاز ذلك إلى اشتغالهم بالتدريس عن التأليف، أو بقاء مؤلفاتهم في تونس وعدم انتقالها إلى الجزائر، لذلك لم يسجل لهم بالجزائر حضور في المشهد الثقافي كذاك الحضور الذي سجل لعلماء أجلاء سلكوا نفس الطريق في تنقلهم من الجزائر إلى تونس كالمقري الذي رغم قصر مدة إقامته في تونس إلا أن أثره كان بارزا حيث أجاز الكثير من العلماء والطلبة التونسيين، كإجازته للشيخ تاج العارفين التونسي[27] الذي طلب منه الإجازة عند استضافته للمقري[28]، والشيخ الثميني[29] الذي جسد الصلة بين إباضية وادي ميزاب بالجزائر وإباضية جربة التونسية[30].وهناك من أعلام تونس من ضُمّ إلى اسمه لقب رجل صالح من أهل الجزائر لعلم تلقاه على يده ونعني بهذا الشيخ محمد بن الطاهر بن محمد السعيد الشريف التواتي (ت 1211هـ/1892م)، والشيخ تونسي المولد والأصل، أما التواتي فنسبه إلى رجل صالح من أهل توات اتصل به وأخذ عنه العلم.[31]

ونتيجة لتزايد عدد التواتيين الوافدين على تونس بسبب تلك الرحلات العديدة التي قاموا بها فرادى وجماعات، فقد كانوا بحاجة إلى من يمثلهم هناك، فنقلوا ما ألِفوه في منطقتهم توات من نظام الجماعة التواتية، فاتخذوا لهم بتونس كذلك جماعة تواتية لها شيخها وكاتبها وعدولها (الشهود)، وهذه الجماعة – حسب ما تشير إليه سجلات المحكمة الشرعية- هي بمثابة هيئة نظامية عُرفية معترف بها عند الجالية التواتية بتونس وهي على شاكلة الجماعة بتوات، ومن بين من تولى مشيخة هذه الجماعة، الحاج امبارك بن عبد الرحمان الزبيري بمساعدة العدول الحاج عبد الحق بن عبد الكريم البكري[32]، وعبد الله بن محمد البركة العزاوي وعبد القادر بن أحمد بن الطالب محمد البركة، أما محتوى ما كان يتم تسجيله في تونس فأغلبه يتعلق ببيع وشراء الماء والجنانات المتواجدة بتوات، بالإضافة إلى أمور أخرى لم يتم الكشف عنها في العقود، وعلى سبيل النماذج الواردة في العقود ومجالاتها نذكر منها نموذج

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

مؤرخ سنة 1944م جاء فيه "بشهادة الأخ سيدي عبد الحق بن والدي سيدي عبد الكريم والسيد عبد القادر بن أحمد بن الطالب محمد البركة وختم السيد الحاج امبارك بن عبد الرحمن شيخ توات بتونس مضمنه اشتراء"[33]، ونفس الحالة مع عقد شراء وبيع بين شخصين من عرش رقان بتوقيع شيخ الجماعة بتونس الحاج امبارك بن عبد الرحمان الزبيري وشهادة الحاج عبد الحق بن عبد الكريم البكري وعبد الله بن محمد البركة العزاوي.

خاتمة:

وخلاصة ما سبق فإن النشاط العلمي كان أحد أهم دواعي الرحلات التواتية نحو تونس، وقد ساهمت تلك الرحلات في فسح المجال للتأثير والتأثّر العلميين، وتدعيم العلاقات العلمية، حيث أعطتها نفسا جديدا، وذلك بتنويع المناهج والأساليب الدراسية، وتوسيع علاقات علماء البلدين فيما بينهم، ووصْل علومهم بأسانيد ومرجعيات راسخة عن ثقات الأمة ورجالها، نتج عن ذلك إجازات علمية مُنحت لهم في حواضر تونس العلمية. كما كان لركْب الحجيج دور فعّال في إعطاء مزيد من التواصل والاحتكاك بين العلماء والطلبة، مثّلت محطات التوقف التونسية فيه فضاء واسع لهذا الاحتكاك.

وأخيرا مثّلت أيضا المحاورات والمناظرات العلمية سبيلا للرحلات من أجل التواصل الفكري بين علماء تونس ومنطقة توات، ووسيلة إلى توحيد الأفهام والاجتهادات، لتجسّد دورا مهما تمثل في إخراج العلوم من دائرة التلقين والتلقّي إلى دائرة النقاش والبحث.

الهوامش:

[1] - اختلف أهل التاريخ في ضبط أصل تسمية توات فذكر صاحب تاريخ السودان أن سلطان مالي(كنكن موسى)، الذي مرّ بتوات أثناء رحلته للحج, أصابه وجع في رجله في هذه المنطقة, فلفظ كلمة توات؛ وهي تعني في لغة سنغاي وجع الرجل. في حين أورد الشيخ أحمد الطاهري أن سميت كذلك لأنها تواتي للعبادة ينظر: عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس،1964،ص 07. وأيضا: الشيخ أحمد الطاهري، نسيم النفحات في ذكر جوانب من تاريخ توات، مخطوط بخزانة كوسام، ورقة 03.

[2] - بكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14هـ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 1، 2005، ص37.

[3] - محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 189.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

[4] - عبد الله العروي، المغرب العربي نظرة مستقبلية، منشورات وزارة الخارجية، الإمارات العربية المتحدة، 1984، ص 201.

[5] - قصة الشيخ المغيلي مع يهود توات وردت في عدة مصادر ومراجع مفادها أن الشيخ المغيلي لما قدم من مدينة تلمسان شمال غرب الجزائر إلى توات وجد اليهود يسيطرون على عصب الحياة في المنطقة بتحكمهم في التجارة وثرائهم الفاحش فأفتى بأن يبدفع اليهود الجزية وهم صاغرون وأن تهدم كنائسهم التي بالغوا في شساعة مساحتها وأن يعاملوا معاملة أهل الذمة عامة وانتهى الأمر بقرار إجلائهم كلية من المنطقة فأجبر الكثير منهم على الفرار بعد انتفاضة الشعب إلى جانب المغيلي ضدهم. يُنظر: الونشريسي، أحمد ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ج2، ص 215. أيضا: عبد الله مقلاتي، موقف الشيخ المغيلي من يهود توات، مجلة الحقيقة، عدد 06، ماي 2005، ص 254. أيضا: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، الجزائر، 2002، ج2، ص 412.

[6] - الونشريسي، المصدر السابق، ج2 ص 215.

[7] - أشاد ابن خلدون بنجاعة تلك المناهج وثرائها عند تعرضه لمناهج التلقي في المشرق والمغرب. ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001، ج2، ص 702.

[8] - ورد في القاموس المحيط أن الإجازة من الفعل استجاز أي طلب الإجازة بمعنى طلب الإذن، وقال ابن الفارس:" الجواز: الماء الذي يسقاه المال من الماشية والحرث، يقال منه استجرت فلانا من أجازني إذا استسقاك ماء لأرضك أو ماشيتك." ينظر: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، 2005، ط 8، مادة: جوز، ص 507. وأيضا: أبي الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر 1979، مادة (جوز)، ج 1، ص 494.

[9] - محمد بن علي اليلو الجزولي، الإجازات العلمية وعناية المغاربة بها، مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة، المغرب www.alqwatan.ma/Article

[10] - **الجريد**: هي منطقة بالجنوب الغربي لتونس، تشمل ولاية توزر، نفطة، دقاش، وكانت تعرف ببلاد قسطيلية، فقد ذكر اليعقوبي بأنها تشمل أربع مدن (توزر ،نفطة، الحمة، تقيوس (دقاش)، نفطة وحولها أربع سباخ. ينظر: أحمد بن إسحاق اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ، 1422، ص ،189. كما كانت تطلق على بلاد الزاب سابقا لكثرة النخيل، ومنهم من أضاف إليها من المدن: نفزاوة، وقفصة. ينظر :ابن سعيد علي بن موسى، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة بيروت، 1970، ص126.

[11] - حوتية محمد، توات والأوراد خلال القرنين 12/ 13هـ- 19/18م، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج 2 ص367.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

12 - عبد الرحمان الجنتوري ، المصدر السابق ، ص88.

13 - روبار برانشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى غاية القرن 15م، ترجمة: حمادي الساحلي، ط1، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1988م، ج01، ص440.

14 - نفسه، ج02، ص248 .

15 - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1987م، ص57. أيضا: أحمد أبالصافي جعفري، العلاقات الفكرية والثقافية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، ملتقى أدرار تيهرت، ص126.

16 - محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996م، ج 6، ص260 .

[17]- بكري عبد الحميد، المرجع السابق، ص 130.

[18]- نفسه، ص 130- 131.

[19]- بكراوي محمد العالم، الدرة البهية في الشجرة البكرية، مخطوط، خزانة محمد العالم، المنيعة، ص 20، وأيضا: محمد بن عبد الكريم عبد الحق: جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط، أدرار، ص 1. أيضا: بكراوي محمد العالم، ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات، مخطوط بخزانة محمد العالم، المنيعة، غرداية، ص 13.

[20]- بكراوي محمد العالم، نفسه، ص 23.

[21]- البكري بن عبد الرحمان التنلاني، الديوان، ضمن مجموع به مؤلفات الشيخ البكري بن عبد الرحمان التنلاني، مخطوط بخزانة الشيخ عبد القادر بن عبد الكريم المغيلي، أدرار، ص 60.

[22]- أحمد أبا الصافي جعفري، رجال في الذاكرة، الشيخ محمد ايداوعلي حياته وشعره، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2008، ص 44.

[23] - أحمد جعفري، المرجع السابق، ص127.

[24] - أحمد جعفري، المرجع السابق، ص127.

[25] - عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 130.

[26] - يشير د. أحمد جعفري إلى معلومات حول أسماء شيوخ تواتيين آخرين زوده بها الدكتور زهير بن يوسف الأستاذ بجامعة تونس، كالشيخ محمد بن أبي القاسم بن الحسين الذي أخذ العلم والمشيخة عن أبيه الحاج بلقاسم 997هـ، ثم انتقل إلى القيروان ليؤسس بها زاويته، وبقي هناك على أن وافته المنية، وكذلك الشيخ محمد الصالح التواتي (كان حيا سنة 1222هـ)، الشيخ محمود التواتي (ت 1298هـ) وقد تولى التدريس بالجامع الكبير بتونس، الشيخ أحمد التواتي (كان حيا سنة 1300هـ) وغيرهم من العلماء التواتيين الذين انتقلوا إلى تونس لكن سيرهم لازالت مغمورة. ينظر: أحمد جعفري، المرجع السابق، ص127.

[27] - الشيخ تاج العارفين: هو أبو عبد الله محمد تاج العارفين بن أبي بكر العثماني التونسي، من أهم علماء تونس، تولى الإمامة بجامع الزيتونة وتوارث أبناؤه وأحفاده هذا المنصب ما يزيد عن المائة وثلاثة وسبعين سنة، يقول عنه ابن أبي دينار: "... كان مجلسه من أجلّ المجالس". يُنظر: ابن ابي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

وتونس، تحقيق: محمد شمام، ط 3، المكتبة العتيقة، تونس، 1967، ص 317. أيضا: مخلوف محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ص 293 – 294.

[28] - أحمد المقري، رحلة على المشرق والمغرب، تحقيق أحمد بن معمر، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2004، ص 153.

[29] - الشيخ عبد العزيز الثميني (1718-1808م): من مواليد منطقة واد مزاب، حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ العلوم في بلده وبعدها اتصل بالعالم الشيخ يحي بن صالح الأفضل من جزيرة جربة بتونس وعملا معا على إصلاح المجتمع في تلك النواحي، وعلى اثر ما قام به الشيخ الثميني اعترف له بالإمامة العلمية ومشيخة المسجد وأصبح رئيسا للمجلس الذي كان يعتبر السلطة العليا في ميزاب كلها. يُنظر: أبو القاسم سعد الله، سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ط 2، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 2005 ، ج2، ص 75.

[30] - بن بكر الحاج سعيد يوسف، تاريخ بني ميزاب – دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، د ط، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007، ص 82.

[31] - محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982، ج1 ص 252.

[32] - تولى عبد الحق بن عبد الكريم البكري القضاء بتوات سنة 1955 بعد وفاة أخيه القاضي محمد بن عبد الكريم البكري. ينظر: بابا عبد الله، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1900-1962م من خلال سجلات المحكمة الشرعية، أطروحة دكتوراه، جامعة أدرار، 2018-2019، ص115.

[33] - سجل المنازعات 1943 – 1951، ع38، 11 فبراير 1944، مخطوط بخزانة أولاد القاضي، تمنطيط، أدرار، الجزائر.